الفصل الرابع

جبريل عليه السلام
مفهوم ملاك الرب
في العقائد السماوية وغيرها

الفصل الرابع

جبريل عليه السلام

مفهوم ملاك الرب في العقائد السماوية وغيرها

يأخذ مفهوم ملاك الله أو ملاك الرب مساحة واسعة في العقائد السماوية وغيرها. فما من ديانة كتابية إلا وحظيت بهذا المفهوم، وخاصة اليهودية والنصرانية والإسلام والزرادشتية.

فهو في نظر التوراة الملاك الذي تجلى أحياناً للنبي إبراهيم والأنبياء من بعده، وهو الذي حمل رسالة السماء ليتلقاها منه الأنبياء المرسلون وإذا نظرنا إلى بعض العقائد وجدنا أن هناك ما يسمى رئيس الملائكة دون أن يُسمى جبريل، كما شاهدنا ذلك مثلاً في اليزيدية والصابئة.

والذي يحملنا على البحث المقارن حول شخصية ملاك الله هو تطور هذا المفهوم لدى المسيحية حتى أصبح غامضاً عندما جعلوه ما يسمى الروح القدس، وهو حسب رأيهم الأقنوم الثالث من أقانيم الله سبحانه عما يصفون.

وقد ارتبط اسم الملاك جبريل عليه السلام في اليهودية والنصرانية بأحداث محددة أوردها سفر التكوين، مما غيّر وبدل الموقف تجاهه حتى أن اليهود عادوه ولم يعتبروه منزلَ الوحي أو الملاك المكلف بالوحي والرسالات، بل اعتبروه الملاك المدمر، لذلك أنزل الله سبحانه في حقهم آية قرآنية تبين أن من عادى جبريل فقد عادى الله عز وجل.

وإذا اقتصرنا البحث في شخصية هذا الملاك عليه السلام في اليهودية والمسيحية والإسلام سنرى هناك مقاربات وسنرى هناك متنافرات ومتناقضات.

ملاك الرب حسب المفهوم التوراتي

لا تصرح التوراة باسم الملاك جبرائيل إلا نادراً وتستبدله بمصطلح ملاك الرب وقد ورد هذا المصطلح مرات عديدة وفي كافة الأسفار تقريباً.

وأول ذكر له يرد في الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين.

تقول التوراة: فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية.

وقال لها ملاك الرب تكثيراً أكثر نسلك فلا يُعد من الكثرة. وقال لها ملاك الرب: هاأنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك. وما قبل ذلك كان حديث التوراة يتناول العلاقة بين إبراهيم وربه مباشرة دون ملاك الرب: (ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له: أنا الرب القدير) تكوين 17 : 1. وتتكرر الصيغة ذاتها دون المجيء على ذكر الملاك.

وتشير التوراة إلى ملاكين دون ذكر اسميهما في الإصحاح التاسع عشر حيث تقول: (فجاء الملاكان إلى سدوم مساء).

ومرة أخرى يتراءى ملاك الله لهاجر بعد أن وضعها النبي إبراهيم مع ابنها عند جبال فاران في مكة:

(ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها: مالك يا هاجر) تكوين 21 ـ 71.

ثم يأتي: (ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء وقال بذاتي أقسمت بقول الرب). ويأتي في سفر الخروج ما هو مثيل ذلك:

(وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة) خروج 1 ـ 2.

وقد ورد اسم جبرائيل في سفر دانيال بقوله:

وكان لما رأيت أنا ودانيال الرؤيا وطلبت المعنى إذا بشبه إنسان واقف قبالتي وسمعت صوت إنسان بين أُولاي فنادى وقال: يا جبرائيل فهّم هذا الرجل الرؤيا وفي نفس السفر من الإصحاح التاسع الفقرة 21 يرد أيضاً:

(وأنا متكلم بعدُ بالصلاة إذا بالرجل جبرائيل الذي رأيته في الرؤيا في الابتداء) ويرد أيضاً اسم رفائيل وميخائيل ـ ميكائيل في سفر دانيال في الإصحاح 10 والإصحاح 21.

وتذكر أسفار اليهود اسم الملائكة صورئيال، وكمئيل، ويوفئيل، وصدقيل.

وعندها أن رئيس الملائكة ميكائيل ويقولون إنه يدعو الموتى للقيامة[1].

وأكثر ما يرد في أسفار التوراة والأناجيل قولهم: ملاك الرب، ولا يسمون الملاك باسمه إلا ما ندر.

أما في الأناجيل فتتضح مهمة ملاك الرب أكثر من التوراة.

فنرى مثلاً أنه يتراءى للنبي زكريا وهو في المعبد يصلي فيبشره بيحيى مثل ما بشر إبراهيم بإسحق ومثل ما تراءى لأم إسماعيل هاجر.

جاء في لوقا: (فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور) لوقا 1: 11.

ولكن في فقرة أخرى يقول: (فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا) لوقا 1: 20.

وجاء في لوقا: (وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف) لوقا 1: 26.

ويأتي في إنجيل لوقا: (وكان رجل من أورشليم اسمه سمعان... وكان قد أوحي إليه بالروح القدس) لوقا 2: 25.

وجاء فيه أيضاً: (وإذا كان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة) لوقا 2: 31.

ومرة أخرى يأتي في لوقا: (أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً بالروح القدس).

أما في متى فقد وردت كلمة ملاك الرب من أول هذا الإنجيل: (لأن الذي جعل فيها هو من الروح القدس) متى 1: 21.

(وبعدما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم) متى 2: 13.

---

(1) قاموس الكتاب المقدس ص 921 حرف الميم، كلمة ملاك.

وترى الزرادشتية أن الكتاب الذي أنزل على زرادشت جاء من السماء عن طريق كبير الملائكة:

(فبينما هو واقف على شاطئ نهر ديتي في مقاطعة أذربيجان إذا به يرى كائناً مضيئاً يهبط من السماء وكأنه عمود من نور حجمه تسعة أمثال حجم الإنسان ويحمل في يده عصا من اللهب ولما دنا منه أنبأه أنه (فاهومانا) كبير الملائكة أرسله الله إليه ليعرج به إلى الملأ الأعلى ليحظى بشرف المثول أمام رب العالمين)[1].

وفي العقيدة اليزيدية أن طاووس هو زعيم الملائكة ولذلك يقدسونه وأحياناً يشركونه مع الله في بعض الأعمال.

وإذا عدنا إلى القرآن الكريم وجدنا أوضح الصور للملاك جبريل عليه السلام من حيث صفاته ومهماته ومكانته.

أولاً: ورد اسم جبريل في القرآن الكريم في ثلاثة مواقع:

في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة 97).

وفي قوله: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة 98).

وفي قوله: ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التحريم 4).

وترد في القرآن الكريم كلمة روح القدس واتفق العلماء أن المقصود بها جبريل عليه السلام.

فقال تعالى: ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ ﴿ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾ ويرد بكلمة الروح الأمين بقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ ووردت كلمة روح بمفردها قال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾، ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾، ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾، ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾.

---

(1) د. علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة قبل الإسلام ص 152.

ويقول تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ (النحل 102).

وجاءت مفردة رسول لتعني أيضاً جبريل عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾ (هود 69).

ويقول تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ ﴾ (هود 77).

ويقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (الحجر 61).

ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ (مريم 19).

فيتضح مما تقدم أن هناك مهمات إلهية يكلف بها الملائكة ولا سيما الملاك جبريل عليه السلام. ولكن لو قارنا بين ما ورد في التوراة وما ورد في الإنجيل لوجدنا أن غموضاً يلف مهمة هذا الملاك الكريم عليه السلام.

فلا نرى مثلاً أنه ينزل الرسالة على موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام وتقتصر مهمته في التوراة على الترائي لبعض الأنبياء الثانويين مثل النبي دانيال فليس هناك مهمة تنزيل الرسالة على موسى عليه السلام مثلاً.

وتكرر ما يسمى أسفار موسى الخمسة وخاصة سفر التثنية أن الله كان يكلم موسى مباشرة وليس هناك وحي ينزل الكتاب.

وعندما تتحدث التوراة عن اللوحين اللذين أنزلهما الله لموسى بعد مكوثه في ميقات ربه أربعين يوماً لا نرى أي أثر لجبريل أو أي ملاك ينزل هذين اللوحين تقول التوراة: (وقال الرب لموسى اصعد إليّ إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحيّ الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم) خروج 24/ 12 ـ 13.

ولكن سفر الخروج يورد نصاً: يقول فيه: (هأنا مرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك في الطريق وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته. احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبهم لأن اسمي فيه) خروج 23: 20 ـ 22.

فمن هو هذا الملاك؟ لا ندري.

وتقول التوراة: (فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هناك كانا مكتوبين. واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين) خروج 32: 15 ـ 16.

أما المسيحية فلا نرى أيضاً مهمة تنزيل كتاب على المسيح عليه السلام.

ولكنْ يرد في إنجيل برنابا الذي لا تعترف عليه الكنائس المسيحية أن الكتاب الذي يخصه الله بالمسيح أنزله عليه ملاك الرب.

يقول برنابا: صعد إلى جبل الزيتون مع أمه ليجني زيتوناً وبينما كان يصلي في الظهيرة وبلغ هذه الكلمات (يا رب برحمة) وإذا بنور باهر قد أحاط به وجوق لا يحصى من الملائكة كانوا يقولون ليتمجد الله فقدم له الملاك جبريل كتاباً كأنه مرآة برّاقة فنزل إلى قلب يسوع الذي عرف به ما فعل الله وما قال الله وما يريد الله) فصل 10: 1 ـ 5.

فهذا النص يذكرنا بالمهمة الأساسية للملاك جبريل عليه السلام وهي تنزيل الرسالات على الأنبياء.

وقد ورد اسم جبريل من خلال مهمات أخرى في إنجيل برنابا، فهو الذي بشر مريم بالمسيح عليه السلام، وهو الذي أمر المسيح أن ينهض بعد بكائه الطويل. يقول برنابا: (فأجاب الملاك جبريل انهض يا يسوع واذكر إبراهيم الذي كان يريد أن يقدم ابنه الوحيد إسماعيل ذبيحة لله ليتم كلام الله) 13: 15 ـ 16.

وهناك العديد من الفقرات التي تصرح باسم الملاك جبريل، والتي تبين تواصله مع المسيح عليه السلام حتى نهاية تواجده على الأرض.

يقول برنابا: فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم) الفصل 215: 4.

إذاً فجبريل أنزل الإنجيل الحقيقي على قلب يسوع المسيح عليه السلام ورافقه بالحفظ من أعدائه. وأخيراً وبأمر من الله رفعه إلى السماء مع ملائكة آخرين. أما

التوراة فلا تصرح مطلقاً أن الكتاب الذي أتاه الله لموسى قد نزله الملاك وحياً، إنما أنزله مباشرة دون وسيط من الملائكة.

جبريل عليه السلام في القرآن والسنة

بعد أن تعرفنا على أهم الخطوط المتعلقة بالملاك جبريل عليه السلام في اليهودية والنصرانية، ندخل عالم القرآن الكريم والسنة الشريفة لنتعرف على شخصية الملاك جبريل عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة 97).

فهنا نرى أن جبريل كُلف بتنزيل القرآن الكريم على قلب رسول الله. وخلال ثلاثة وعشرين عاماً ظل جبريل ينزل على قلب رسول الله ﷺ، وينزّل القرآن منجماً آية آية وآيات آيات إلى أن اكتمل القرآن الكريم، وكان البدء بالتنزيل بقوله: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾.

ويصف الله سبحانه في مواقع أخرى جبريل بالروح الأمين الذي نزل القرآن: يقول تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ (الشعراء 193-194).

ويقول تعالى واصفاً جبريل بالروح القدس: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (النحل 102).

إضافة لصفة الرسول التي وصف بها الله سبحانه جبريل عليه السلام.

فنرى من خلال ذلك عدة صفات للملاك جبريل ومهمة واضحة وهي تنزيل القرآن على قلب رسول الله ﷺ.

لكن القرآن الكريم حفل بإشارات كثيرة لمهمات أخرى غير تنزيل القرآن الكريم، فالله سبحانه يمد المؤمنين بملائكة يقاتلون دفاعاً عن دين الله مع المسلمين وقد أشار إلى ذلك في عدة مواقع من الآيات الكريمة.

يقول تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال 9).

ويقول تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (التوبة 40).

بقي أن نقول إن اليهود يعرفون عن الملاك جبريل كل شي ولكنهم يعادونه وقد صرح القرآن الكريم بذلك بقوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ (البقرة 97 ـ 98).

فما قصة عداء اليهود للملاك جبريل على الرغم من أنهم يعرفونه؟

الحقيقة إن سبب نزول الآيتين الكريمتين هو التالي:

(دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدراس اليهود وهو محل اجتماعهم يوماً فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمداً على أسرارنا وإنه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام. فقال: وما منزلتهما من الله؟ قالوا: جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة. فقال: لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوّين ولأنتم شر من الحمير ومن كان عدو أحدهما فهو عدو الله، ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال له النبي ﷺ: لقد وافقك ربك يا عمر)[1].

إذاً، فأسباب العداوة من قبل اليهود للملاك جبريل عليه السلام أنه هو الوحي الذي أخبر ويخبر سيدنا محمداً ﷺ بكل ما فعله اليهود في الماضي وبكل ما يضمرونه من عداء للرسول ﷺ. ونلاحظ أن الحديث عن بني إسرائيل واليهود أخذ صفحات طوال من القرآن الكريم حتى قيل إن ثلث القرآن كان في بني إسرائيل.

إضافة لهذه الحجة التي قال بها اليهود فإنهم قالوا: إن جبريل صاحب خسف وعذاب إشارة لما قالته التوراة من أن جبريل عليه السلام هو الذي خسف الأرض بقوم لوط وأنزل العذاب بأقوام أخرى.

---

(1) محمد خير الدين الدرة، إعراب القرآن وبيانه، الجزء الأول ص 123.

والغريب أن اليهود يعرفون أن قوم لوط فعلوا أقبح أنواع الشر وكانوا يستحقون هذا الخسف فلماذا يتضايقون من عقاب هؤلاء الشاذين؟

على أية حال، فقد عرفنا أهم ما أوكل إلى جبريل من قبل الله عز وجل، وعرفنا الفروق بين ما جاءت به التوراة والإنجيل وما جاء من كلام الله عز وجل في القرآن الكريم عن الرسول جبريل عليه السلام.

ويمكن لأي باحث يريد التوسع في دراسة عالم الملائكة أن يعود إلى آيات القرآن الكريم ليرى تفصيلات أخرى عن هذا العالم الغيبي الذي لولا القرآن الكريم ما عرفنا شيئاً عنه.

خاتمة

مر على البدء بتأليف هذا الكتاب حوالي سنتين وثلاثة أشهر. توقفتُ في تأليفه لأكثر من سنة ونصف ثم عدت لأتممه بشكل متواصل إلى أن أراد الله سبحانه إتمامه.

وقصة التوقف ومن ثم العودة لم تكن بإرادتي إنما كانت هناك أصوات بعض الأخوة والأصدقاء تطالب بالكتابة عن موقف الإسلام مما يُروّج في العالم العربي من ثقافة الهزيمة والاستسلام، لأن هذا العالم يشهد أموراً تشكل خطراً على العقل العربي والمسلم وخاصة بعد غزو العراق واحتدام الصراع في فلسطين وبعض مناطق العالم الإسلامي.

وقد قيض الله لي خيراً في الوقت فنحّيت هذا الكتاب جانباً ورحت أغمس قلمي في الرد على مروّجي ثقافة الهزيمة معبراً عن موقفي العروبي الإسلامي، ومعبراً عن جماهير الأمة المقهورة التي ترفض أن تُروّض أو تدجّن وتقبل الهزيمة في روحها وعقلها وعقيدتها وتاريخها وحضارتها وهويتها ومستقبلها. وعندما أتممت تأليف كتاب (الإسلام وثقافة الهزيمة نقيضان في المواجهة) قلت لقد آن الأوان للعودة إلى ما كنت تركته من تأليف كتاب علم مقارنة الأديان الذي بين يدينا.

الحقيقة أن ما دفعني لإتمام هذا الكتاب هو أنني وأنا أمارس تدريس مادة مقارنة الأديان للسنة الرابعة في كلية الدعوة الإسلامية بدمشق أدركت أن كل الكتب المقررة سابقاً وحالياً لا تفي بالغرض من علم مقارنة الأديان، لذلك كنت ألجأ دوماً للخروج عن بعض المقرر فأدرج المقارنات التطبيقية بين الأديان في العقيدة والتشريع والتأثر والتأثير. ولمست أن الطلاب أصبحوا يدركون أكثر القضايا الدينية التي تشترك فيها العقائد وكذلك تلك التي تختلف فيما بينها حوله.

وعندما كثرت المراجع التي تدخل باب مقارنة الأديان بين يديّ لم أعثر على كتاب واحد ينظّر لعلم مقارنة الأديان من حيث أصوله وجذوره ومساهمات الباحثين الغربيين والعرب فيه وتطبيقاته النصّية.

والأغرب من ذلك كله أن جميع هذه المراجع تقترب من علم تاريخ الأديان دون أن تكون قريبة من علم مقارنة الأديان.

وما دفعني أكثر للخوض في التنظير لهذا العلم هو تجربتي الكتابية في كتابي (التوراة والقرآن أين يتفقان وأين يفترقان؟) وفي كتابي (العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل) وفي كتابي الثالث (إنجيل برنابا يُبعث من جديد) وكتابي الرابع (الكتاب والتوراة) وكتابي الخامس (العقائد الوثنية في الديانة اليهودية) وكان المنهج في جميع هذه الكتب هو مقارنة النص بالنص. فتناولت مفهوم الألوهية في جميع العقائد السماوية وغيرها دون أن أفصِل بين عقيدة وأخرى. إنما كان النص من هنا ومن هنا ومن هناك في إطار واحد مقارن. وكذلك مفهوم يوم البعث والجنة والنار وكذلك مفهوم النبوة والملائكة ثم التشريع والعبادات وما إلى ذلك.

ومن خلال التجربة الميدانية لمدة تسع سنوات متتالية، أعني تدريس هذه المادة في كلية جامعية وجدت الكثير من القفزات العقلية لدى الطلاب والطالبات حتى أن بعضهم قدم بحوثاً مقارنة بعد أن رجعوا إلى نصوص التوراة والأناجيل وغيرها من الكتب على الرغم من أن أيّاً منهم لم يطلع في حياته السابقة لا على توراة ولا على إنجيل. وهذا ما حفزني لتأليف هذا الكتاب والتركيز فيه على التطبيقات المقارنة في الجزء الثاني منه والذي يحوي عدة فصول طويلة تضيء التطبيقات المقارنة في عدة مواضيع عقيدية وتشريعية.

وأملي كبير بأن يلقى هذا الكتاب صدى لدى الكليات والجامعات والمعاهد العالية الإسلامية وغيرها كي يكون أسهل الوسائل البحثية للطالب حتى يعرف ما هو هذا العلم وما هي مجالات بحثه وكم شارك فيه العرب والمسلمون أمثال ابن حزم وابن القيم ورحمة الله الهندي والسموأل بن يحيى المغربي وغيرهم من الباحثين

الأجانب وكم نحن بحاجة لمعرفة العقائد الكبرى والعقائد المعاصرة من صغيرة وكبيرة وغيرهما.

أما بعد أن وضّحت قصة تأليف هذا الكتاب وما أعانني الله عليه من تطبيقات فإن من واجبي البحثي أن أقدم خاتمةً له. تتناول الاستنتاجات والغايات والأهداف في ضوء ما نعيشه من صراعات عقدية أو حوارات دينية وفي ضوء الهجمة المستمرة من قبل بعض الجهلة الغربيين وغيرهم على دين الإسلام ونبي الإسلام ﷺ. وفي ضوء التطور البحثي في حقيقة الأديان والعقائد القديمة والمعاصرة وما آلت إليه بعضها من تغيير وتحريف وابتداع غيّرها من جذورها وحرفها عن غايتها الإلهية وجعلها عقائد تختلف كلياً عن أصولها.

مضى على وجود النبي إبراهيم وأولاده عليهم السلام حوالي أربعة آلاف سنة ومضى على وجود النبي موسى عليه السلام حوالي 3200 سنة ومضى على وجود المسيح عليه السلام حوالي ألفي عام. وما بين إبراهيم عليه السلام والمسيح عليه السلام وُجد أنبياء ذكرهم القرآن الكريم ووُجد آخرون لم يسمّهم القرآن الكريم واختصت بهم التوراة على الغالب. بينما تعرفنا إلى شخصيات اعتبرها بعض الأقوام أنبياء أمثال زرادشت، ومنهم من ألّه الحكماء كالبوذيين وغيرهم.

وانشقت عن اليهودية فرق عديدة منها ما اعترف بالتوراة العبرانية ومنها ما لم تعترف كالسامريين، وانقسمت فرق اليهودية إلى تلموديين وغير تلموديين وهكذا حتى بدت فرق اليهود أكثر انشقاقاً وتنوعاً.

وانقسم المسيحيون إلى موحدين وغير موحدين. وطغت عليهم أفكار الوثنية الغربية فعمّموا التثليث وألوهية المسيح وقالوا بالصلب وما شابه ذلك وانقسمت كتب هاتين العقيدتين إلى أقسام تناقض بعضها بعضاً. فكانت التوراة العبرانية والسامرية واليونانية والأسينية، وكانت الأناجيل أكثر من ذلك ومنها برنابا ومتى ومرقص ولوقا ويوحنا وتوما ويهوذا.

اختلطت الحقائق بالأباطيل والخرافات. واختلط كلام التنزيل بكلام التأليف فضاعت العقيدتان وبات الأصل فيهما مجهولاً أو مخفياً. وظل أتباعهما

يخفون هذه الحقائق ويخدعون الجماهير المسيحية زمناً طويلاً، ومما زاد في الأزمة العقيدية لديهم أن رجال الدين الغربيين وعلى رأسهم الفاتيكان والبابوات صنعوا لهم زيادات عقدية واختراعات ليس لها أصل ولا فصل. فتاه الناس في غيابات الظلمة مما دفع المجتمعات الغربية على وجه التحديد للتحلل من الدين انتقاماً من رجال الكنيسة واللاهوت الذين أباحوا ما حرم الله وتناسوا أوامره ونواهيه وأخيراً يأتي البابا بينيدكت السادس عشر ليدعو اليهود والمسلمين للدخول في المسيحية الوثنية بل ويدعو البروتستانت في أميركا وغيرها للدخول في الكاثوليكية.

أما أنه يدعو اليهود والبروتستانت إلى الدخول في الكاثوليكية فهذا شأنه. أما أن يدعو المسلمين للتنصير فهذا يدل على جهله من ناحية وعلى حقده وعنصريته من جهة ثانية وعلى خوفه ورعبه مما آلت إليه حال أوروبا وخاصة دخول الشباب والفتيات في الإسلام عن حب وطواعية بعد أن تبينوا الرشد من الغي.

لقد ظل المسيحيون جاهلين متجاهلين بحقيقة الإسلام، ولكن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين، ونزل القرآن عليه ليفضح كل خرافاتهم ووثنيتهم وتثليثهم وكهنوتهم.

نزل القرآن الكريم ليبين الانحراف العقيدي الذي ساروا عليه عبر مئات السنين. لقد فضح عبادتهم للعجل وللأوثان وفضح نقدهم لمواثيق الله والأنبياء وفضح كذبتهم الكبرى في ادعائهم صلب المسيح وتأليهه. وما المسيح إلا بشر خلقه الله مثل آدم وما المسيح إلا نبيّ دعا للتوحيد وبشر بالنبي القادم محمد ﷺ.

من هنا يأتي علم مقارنة الأديان ولا سيما المتجه منه إلى اليهودية والنصرانية والإسلام. إضافة لعقائد الزرادشتية والهندوسية والعقائد المعاصرة التي أبت إلا أن تكون في جوقة الانحراف والخرافات والادّعاءات الوهمية. يأتي علم مقارنة الأديان ليوضح آلاف القضايا التي غيروا حقيقتها.

من دراسة مسألة الخلق الأولى لآدم وزوجه وأبنائه ولنوح وأولاده ولإبراهيم وأولاده، يأتي ليوضح الحقيقة القرآنية التي صححت مسارهم ومسار عقولهم. ويأتي علم مقارنة الأديان ليدعم علم التاريخ الذي فضح رواياتهم وتواريخهم الكاذبة. ويأتي لينصف الأنبياء داود وسليمان وقبلهما موسى وإلياس وهارون. وما من نبي إلا وشوهوه وألصقوا به أبشع أنواع السلوك ويكفي ما قصّوه عن النبي لوط وما قصوه عن داود وما قصوه عن ذات الله والملائكة ليكون شاهداً على أن التوراة التي بين أيديهم هي تأليف كهنتهم وليس لها علاقة بما نزّله الله سبحانه على الأنبياء.

يأتي هذا الكتاب ليقارن العقائد نصاً بنص وحادثة بحادثة وشخصية بشخصية وتشريعاً بتشريع. يناقش مفهوم الذات الإلهية وكيف أن القرآن الكريم بين لهؤلاء أنهم انحرفوا عن التوحيد فخلطوا بين ما يفعله الله سبحانه، وما يفعله الملائكة والشياطين والبشر. ويناقش مفهوم النبوة والأنبياء ويوضح كيف أن القرآن الكريم بين عقيدة الأنبياء وعصمتهم ودعوتهم وسلوكهم وخصائصهم ومهماتهم ويناقش مفهوم الملائكة والجن ويوضح كيف أن القرآن الكريم ميّز الملائكة عن الشياطين وبين مهماتهم بدءاً بتنزيل الكتب وانتهاءً بحفظ الناس والسماء والأرض بإذن الله. ووضح أيضاً مفهوم اليوم الآخر وكيف أن اليهود ظنوا أن الجنة كتبت لهم وحدهم وكذلك النصارى.

هذا العلم الذي جهلنا الكثير عنه يوضحه الكتاب الذي بين أيدينا ليؤصل المفاهيم والمعارف المتعلقة به، وبالمساهمات التي شارك فيها علماؤنا وعلماء الغرب.

والأمل بالله يحدوني أن يكون هذا العمل نافعاً لطلاب العقيدة والتاريخ وتاريخ الأديان. ونافذة كبيرة يطل منها كل باحث وكل متنور وكل قاصد للمعرفة أملي بالله أن يكون هذا العمل لبنة قوية من لبنات علم مقارنة الأديان لننتفع به جميعاً جيلاً بعد جيل. والحمدلله رب العالمين فلولا فضله لما تم هذا الكتاب ولولا رعايته لما استطاعت اليد أن تخط هذه الحروف.

اللهم امنحنا الصحة والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والـدنيا وفي الآخـرة اللهم امنحني العمر المديد لأظل عاكفاً على الكتابة النافعة المدافعة عن دين الإسلام وعن الحبيب المصطفى ﷺ.

د. حسن الباش

بتاريخ 23/ 4/ 2008

المصادر والمراجع

1 ـ القرآن الكريم.

2 ـ التوراة العبرانية/ منشورات دار الكتاب المقدس، دمشق 1981.

3 ـ التوراة السامرية.

4 ـ التوراة اليونانية.

5 ـ إنجيل برنابا.

6 ـ إنجيل متى/ منشورات دار المشرق بيروت بولس باسيم 1986.

7 ـ إنجيل مرقص/ منشورات دار المشرق بيروت بولس باسيم 1986.

8 ـ إنجيل لوقا/ منشورات دار المشرق بيروت بولس باسيم 1986.

9 ـ إنجيل يوحنا/ منشورات دار المشرق بيروت بولس باسيم 1986.

10 ـ التلمود.

11 ـ صحيح البخاري.

12 ـ محمد صفوح الأخرس/ الأنثروبولوجيا/ وزارة الثقافة/ سوريا ـ دمشق 2001.

13 ـ عباس العقاد/ الله في نشأة العقيدة الإلهية ـ دار المعارف، مصر 1964.

14 ـ د. محمد عبدالله الشرقاوي/ مقارنة الأديان/ بحوث ودراسات ـ دار الهداية ـ القاهرة 1986.

15 ـ د. بسام العجك/ الحوار الإسلامي المسيحي/ دمشق ـ دار قتيبة.

16 ـ أحمد أمين/ ضحى الإسلام ـ الجزء 3.

17 ـ ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل والأهواء والنحل.

18 ـ ابن القيم الجوزية/ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى/ ـ دار قتيبة.

19 ـ السموأل بن يحيى المغربي/ غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. مخطوط.
20 ـ رحمة الله الهندي/ إظهار الحق.
21 ـ موريس بوكاي/ التوراة والإنجيل والقرآن والعلم/ .
22 ـ فرانسوا شاتلييه/ تاريخ الأيديولوجيات/ جـ 1 ـ وزارة الثقافة سوريا في 1997 ترجمة: أنطون حمصي.
23 ـ شبكة المعلومات العربية/ محيط.
24 ـ د. حسن الباش/ الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي/ دار الجليل ـ دمشق 1988.
25 ـ مفيد عرنوق، اللآلىء نصوص من الكنعانية ـ دار النهار ـ بيروت 1978.
26 ـ يوسف سامي اليوسف/ معجزة الأسطورة اليونانية ـ وزارة الثقافة.
27 ـ شوقي عبد الحكيم/ الفولكلور والأساطير العربية.
28 ـ صموئيل هنري هوك/ منعطف المخيلة البشرية/ ت: صبحي حديدي ـ دار الحوار ـ سوريا 1984.
29 ـ جيمس بريسند/ فجر الضمير ـ ترجمة: سليم حسن ـ مكتبة مصر، رقم الكتاب 108.
30 ـ فراس السواح: مغامرة العقل الأولى.
31 ـ عمر لطفي النجار: العقل والإلحاد مكتبة المبتدأ والخبر، دمشق 1997.
32 ـ جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، عالم المعرفة، الكويت ط 1 1993.
33 ـ د. إبراهيم مدكور د. يوسف كرم: دروس في تاريخ الفلسفة.
34 ـ دائرة معارف القرن العشرين.
35 ـ د. أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى، مقارنة أديان.
36 ـ د. أحمد شلبي: المسيحية ـ مقارنة أديان.
37 ـ د. أحمد شلبي: اليهودية ـ مقارنة أديان.

38 ـ عبد الرحمن نور الدين: رحلة الإنسان مع الأديان.
39 ـ عبد السلام التونجي: العقيدة في القرآن، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.
40 ـ محمد عبده: رسالة التوحيد.
41 ـ دوان: سكان أوروبا الأوَل.
42 ـ محمد طاهر التنسير: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية.
43 ـ ليون جوتيه: مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية.
44 ـ د. علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة قبل الإسلام.
45 ـ قاموس الكتاب المقدس. باب القاف.
46 ـ حبيب سعد: سيرة بولس الرسول.
47 ـ د. حسن الباش: إنجيل برنابا يُبعث من جديد.
48 ـ دوان: خرافات التوراة.
49 ـ محمد علي برو العاملي: الكتاب المقدس في الميزان.
50 ـ أحمد ديدات: هل الكتاب المقدس كلام الله؟
51 ـ موسوعة عالم الأديان، المجلد الرابع.
52 ـ محمد الحسن: المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي.
53 ـ د. خلف الجراد: اليزيدية واليزيديون، دار الحوار، دمشق 1995.
54 ـ محمد خير الدين الدرة: إعراب القرآن وبيانه، دار الحكمة، دمشق 1984.
55 ـ عبد الرزاق عبد الواحد: شيء من الديانة المندائية/ الصابئة، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد 951 دمشق 2005.

الفهرس

الإهداء ٧

مقدمة وتمهيد ٩

القسم الأول: في الإطار النظري

الفصل الأول: علم مقارنة الأديان جذوره وملامح تكوينه ١٩

مساهما علماء العرب والمسلمين في التأصيل لعلم مقارنة الأديان ٣٠

إضاءات حول جهود علماء الغرب في الأديان ومقارنتها ٣٦

الفصل الثاني: مناهج العرب والمسلمين من علماء الأديان ما لها وما عليها ٤١

ابن حزم الأندلسي ومنهجه ٤٤

ابن القيم الجوزية ومنهجه ٤٧

السموأل بن يحيى المغربي ومنهجه ٤٨

رحمة الله الهندي وكتابه إظهار الحق ٥٠

مناهج مقارنة الأديان المعاصرة ٥٢

مناهج الباحثين في الغرب ٥٤

مناهج حديثة في مقارنة الأديان ٥٧

الفصل الثالث: علم مقارنة الأديان وتداخله مع العلوم الإنسانية ٥٩

الفصل الرابع: اتجاهات علم مقارنة الأديان النظرية التطبيقية ٧٣

العقائد الوثنية، دراسة مقارنة ٧٦

نموذج مقارنة عقيدة وثنية بأخرى ذات جذور توحيدية ٧٩

الحدث التاريخي ومقارنة الأديان ٨١

القسم الثاني: في الإطار التطبيقي

الفصل الأول: مفهوم الألوهية في الديانات الكبرى ٨٩

مفهوم الإله في التوراة ٩٢

مفهوم الإله في الزرداشتية ٩٦

مفهوم الألوهية في البرهمية الهندية ٩٩

مفهوم التثليث في الألوهية ١٠٣

التثليث في المسيحية ١٠٦

اليوم الآخر في عقائد الشعوب ١٠٩

مفهوم اليوم الآخر لدى اليهودية ١١٣
اليوم الآخر في العقيدة النصرانية..... ١١٦
اليوم الآخر في العقيدة الإسلامية..... ١١٧
الفصل الثاني: مقاييس التأثر والتأثير بين العقائد، مقاييس البشري والإلهي في التوراة والإنجيل ١٢١
المقياس الأول: السابق واللاحق..... ١٢٤
تواريخ ظهور العقائد والأديان..... ١٢٥
الفداء والصلب ١٢٨
نقاش حول المؤثرات الخارجية في المسيحية..... ١٣١
هل التوراة والإنجيل كتابان سماويان؟ ١٣٤
تاريخ ظهور التوراة وتدوينه ١٣٨
آراء بعض العلماء حول مصدر التوراة ١٤٢
بحث في وضعية الأناجيل وعدم رجوعها إلى التنزيل الإلهي ١٤٥
الفصل الثالث: عقائد مستحدثة، عقيدة السيخ . البهائية، القاديانية، اليزيدية، الصابئة ١٤٩
عقيدة السيخ ١٥٢
البهائية والبابية ١٥٤
القاديانية والأحمدية ١٥٦
اليزيدية..... ١٥٩
الصابئة المندائية ١٦١
تقاطعات بين العقائد السابقة..... ١٦٣
الفصل الرابع: جبريل عليه السلام، مفهوم ملاك الرب في العقائد السماوية وغيرها ١٦٥
ملاك الرب حسب المفهوم التوراتي ١٦٨
جبريل عليه السلام في القرآن والسنة..... ١٧٣
خاتمة ١٧٧
المصادر والمراجع..... ١٨٣